دراسة مجتمع النواصي لويليام فوت وايت

❖ أهمية الدراسة:

اعتبرت دراسة "street corner society " معيارا للصور الحية لأشخاص حقيقيين في مواقف حقيقية. فالوصف الحيّ الذي قدمه ويليام فوت وايت للحياة في أحد الأحياء الإيطالية في بوسطن، جعل منها نموذجا للأبحاث الإثنولوجية الحضرية. خاصة بعدما استطاعت الخروج عما هو مألوف في بحوث العلوم الاجتماعية من خلال الاستماع إلى مزاج الشارع. فهذا الانغماس في حياة الحي وثقافاته الفرعية وأنظمة الولاء الخاصة به فقط، عطل الصور التقليدية للفقر الحضري وهوية المجتمع. وبالتالي تعد دراسة مجتمع النواصي مرجعا رئيسيا لأي شخص يعالج مشكلة عصابات الأحياء. كما فتحت آفاقا جديدة ووضعت معيارا للبحث الميداني في المدن الأمريكية والتي يظل مصدرا للتحدي الفكري.

❖ المجال الجغرافي والزمني للدراسة:

تمت الدراسة في شارع "نورتون "الذي يسميه "فوت" ب: "كورنرفيل" وهو أحد أحياء الطرف الشمالي لبوسطن من عام 1937 ، لمدة ثلاثة سنوات ونصف. وهي منطقة يسكنها بشكل شبه حصري المهاجرين الايطاليين وأطفالهم.

❖ منهجية الدراسة:

أطلق وايت على منهجيته اسم البحث العملي التشاركي مؤكدا أنه يستطيع الحفاظ على موضوعيته .

❖ الدراسة:

أجريت الدراسة الميدانية سنة 1937-1940 ونشرت سنة 1943 وفي طبعات جديدة عام 1955، 1981 وفي طبعة رابعة 1993.

تمت هذه الدراسة بعد قبول وايت في احدى عصابات زوايا الشوارع حسب وصفه. والتي تسمى "عصابة نورتون ستريت" من خلال صداقته مع زعيمها "دوك"(ارنست بيتشي)

فركزت الدراسة على وصف البنية الداخلية لهذه العصابة ووظيفتها في المجتمع ككل، وعلاقتها بنادي آخر موجه للشباب يُعرف باسم نادي المجتمع الإيطالي، الذي يتكون في جزء كبير منه من طلاب الجامعات تحت قيادة "تشيك موريلي" (كريستوفر ايانيلا)

ومن خلال الملاحظة بالمشاركة سوف يقوم وايت بدراسة مجموعة بينيتس (نورتونز في مجتمع ستريت كورنر) في شارع نورث بينيت (شارع نورتون) وهم مجموعة من الشباب معظمهم عاطلون عن العمل. كان البعض يتدبر أموره وكان عدد قليل منهم أصحاب أوكار القمار وكان عدد قليل منهم لديه وظيفة.(أجريت الدراسة خلال الأزمة الاقتصادية)، كان بعضهم متزوجين ومعظمهم عازبين. لكن واحدا فقط يلعب دور "كازانوفا" وهو "دوك" زعيم العصابة، الذي أصبح مُخبر الباحث ثم صديقه.

أمضى وليام فوت أكثر من عام يعيش مع عائلة إيطالية أمريكية في الأحياء الفقيرة في "نوث اند" ويتسكع مع أعضاء العصابات ويراقبهم وهم يقامرون ويتقاتلون.

كما أرشدهم على تنظيم مظاهرات لحمل مجلس المدينة على ضخ المزيد من الأموال في الحي.

التحق بجامعة هارفارد 1936 وأثناء تواجده فيها قام في فبراير 1937 باستئجار غرفة في الطابق الثالث في منطقة نورث إند، التي كانت آنذاك واحدة من أسوء الأحياء الفقيرة في المدينة. أقام مع عائلة أورلاندي التي كانت تدير مطعم كابري، وأصبح صديقا لأحد أعضاء العصابة وهو من أدخله مجتمع العصابات، ومن خلال الذهاب إلى قاعات البلياردو ونوادي القمار تعلم وايت المهارات اللازمة ليصبح زعيم عصابة. ولم يكن وايت متخفيا أمام المجموعة لقد بدأ كمراقب بعد أن أخبرهم أنه يكتب كتابا ومع قيامه بالبحث أصبح أكثر فأكثر مشارك غير ملاحظ وأصبح مواطنا محليا.

تناولت أهم محاور الدراسة تحليل البنية الاجتماعية والنظام الاجتماعي في الحي وأيضا الابتزاز والسياسيون المحليون(البنية الاجتماعية والحراك الاجتماعي وأنماط الابتزاز والفساد السياسي).

-أهم ظاهرة لاحظها وايت تتعلق على وجه التحديد بتطور القيادة في النورتون.

-في مقارنته للابتزاز داخل النادي الاجتماعي والرياضي، الذي كان بمثابة غرفة ألعاب ومراهنة. اعتمد "وليام فوت" طريقة أخرى لمراقبة التسلسلات التي أدت إلى اتخاذ القرار أو المبادرات بشكل أفضل. فقام وايت بتعديل أساليبه في جمع البيانات ومن تم تحليلها لجمع التسلسلات السلوكية. وتحديد الأحداث مثل تطويره لنظام مشفر يستخدمه أثناء اجتماعات النادي، حيث يتم تصوير التفاعل في العلاقة. ويتم ذكر المحتوى اللفظي للتفاعل بشكل مختصر حيث لاحظ من خلال التفاعلات انتماء الأفراد داخل النادي إلى ثلاث مجموعات.

أ- مجموعة الأفراد الذين يقترحون الاجراء فقط.

ب- مجموعة الأفراد الذين يقدمون مقترحات في أوقات معينة ويكملون التفاعل في أوقات أخرى.

ج-مجموعة من الأفراد الذين يكملون التفاعل.

فدراسة مجموعة من خمسين شخصا بالملاحظة المباشرة بواسطة مراقب واحد ومن خلال التحليل المتسلسل تشكل تحديا، إذ تولى وايت هذه المهمة عن طريق التجربة والخطأ. ثم قام بتحسين تقنياته. وهكذا استخدم التحليل " الطوبولوجي لغرفة النادي مشيرا إلى الأماكن الاجتماعية المختلفة والأريكة والكراسي وطاولات الألعاب، ولاحظ أولئك الذين كانوا يلعبون والذين لا يلعبون، لإجراء تحليل تسلسلي لمراحل التفاعل ووضعها في المدة والمكان مع وضع رسوم بيانية.

أيضا سمحت له نافذة شقته بمراقبة نصف غرفة النادي .

لاحظ وايت أنه من الممكن تحديد أولويات المتحدثين بالنسبة لبعضهم البعض، والتعرف بدقة أكبر على الأعضاء الأكثر تأثيرا. ووجد إذا قدم عضو ذو مكانة متواضعة اقتراحا فلن يؤخذ في الاعتبار ومن ناحية أخرى إذا تبنى متحدث رفيع المستوى اقتراحه فيتم قبوله.

أيضا وايت كان محاصرا في النادي يعتمد فقط على التذكر لا يستطيع الكتابة وهذا من أجل فهم تسلسلات معينة بالإضافة إلى لعبة القيادة والتنافس داخل النادي.

قام وليام فوت بمقابلة مع كارلو زعيم عصابة مصفّفي الشعر لمتابعة المخطط الاجتماعي للعصابة.وكارلو نفسه رسم المخطط وهو مهندس يوضح فيه شبكة التأثير في عصابته، فإذا ما أراد انجاز شيء ما بسرعة، فيمكنه التحدث مع الجميع، ويتم هذا من خلال تحدثه لمايك الرجل الثاني في القيادة أولا، الذي سيتحدث لجو وتشيشي، اللذان سيخبران ديك ودودو وسيتبع الأربعة الآخرون تلقائيا، من هذا المثال يمكننا أن نرى الطريقة التي استخلصها للمخطط الاجتماعي لعصابة مصففي

الشعر من خلال استفساره عن بنية جماعته وكيفية تداول المعلومات. وأيضا عن مكانة كل فرد من أعضائها.

❖ **النتائج:**

من خلال رسم خرائط للعوالم الاجتماعية المعقدة لعصابات الشوارع و"أولاد الزاوية"، كان "وايت" من بين الأوائل الذين أثبتوا أن المجتمع الفقير لا يحتاج إلى أن يكون غير منظم اجتماعيا.

-كلما كانت الجماعات غير متساوية في العدد كلما كان اختراق معايير الثقافة الغالبة لرموز الثقافة المغلوبة سهلا ومحطما لهذه الأخيرة.

-تلعب البولينغ مكانا مهما في حياة المجموعة، فيكون للأداء (أداء اللاعبين) أثر. إذ أن النصر يعزز الشعور بالانتماء إلى المجموعة الداخلية ويساهم في المبالغة في تقديرها وقادتها والتقليل من قيمة المجموعة الخارجية.

-يختلف مجموعة الطلاب عن رجال الشوارع بمجموعة من القيم. فالطلاب يتميزون بالادخار والاستثمار، بينما يعيش أفراد النورثون في اقتصاد إنفاق، يتسم بالالتزامات المتبادلة في المجموعة، وأيضا بحكم الطلاب على بعضهم البعض بناءَ على نجاحهم الأكاديمي، بينما يولي شباب الشارع أهمية أكبر لولائهم في الصداقة. يظهر الابتزاز خاصة مع اليانصيب على الرغم من أن اليانصيب غير قانوني، إلا أنه لا يعتبر غير شرعي من قبل السكان الإيطاليين الذين يعتبرون اللعبة مقياسا لقدراتهم. والذي يشكل تنظيما هرميا قويا وصارما. إذ نجد في المستوى الأول نجد المجمعين(المسؤولون عن جمع الرهانات وارجاع المكاسب-عليهم تسليم الحصص إلى النقابة أو إلى الوسيط (رجل 50%).

تتكون النقابة من 10 إلى 12 عضو تولى توزيع مناطق كل شخص (ممارسة الكارتل)، وتحديد نسبة الأرقام الفائزة، والقضاء على المنافسة الخارجية.

فالروابط بين العصابات والمبتزين والشرطة والتجار والسياسيين فعالة، إذ يمكن أن تكون العلاقات مع النقابة وثيقة(الرشاوي)، وكذلك مع التجار الذين يمكنهم تقديم الهدايا لهم لضمان الدعم. وللمبتز دور اجتماعي في الحي. وهذا الانحراف يوفر دورا تنظيميا، إذ أنّ هذا النمط من التنظيم الاجتماعي، لا يتكيف مع النمط العام للتنظيم الاجتماعي للمجتمع الأمريكي..

-يؤكد "وايت" على الدور المركزي للعصابة التي تتشكل في مرحلة الطفولة المبكرة وتستمر حتى الثلاثينات، إذ يضيع الرجل خارج العصابة، التي هي أكثر أهمية من الأسرة، حيث يجدون هناك شكلا من أشكال الاستقرار الناتج عن التفاعلات والالتزامات المتبادلة.

-قائد الفرقة هو الذي يتفوق في جميع أنشطة الفرقة، وله علاقات خارجية عديدة، ولكنه يدعم قيادته أيضا، من خلال انفاقه الكثير على أعضاء الفرقة الآخرين، دون أن يتلقى منهم. إذ تعتبر حالة دوك مثيرة للاهتمام بعدما كان يعاني من الصداع والدوار في كل مرة كان فيها عاطلا عن العمل (عدم تحمل النفقات).

❖ **الانتقادات:**

انتقدت "ماريان بولين" في مذكراتها بعد عودتها للحي في نهاية الثمانينات وبناء على تصريحات أعضاء سابقين في العصابة أن "وليام فوت وايت" قد تحيّز في البيانات المتعلقة بالابتزاز والأنشطة غير المشروعة.

انتقده "غورفيتش" أن الملاحظة المباشرة والملاحظة بالمشاركة لا تؤديان إلى نفس النتائج. فتصور المراقب المشارك على الرغم من جهوده متحيز للامتياز الذي يمنحه للنشاط والمبادرة والاستهانة وأيضا مبالغته في تقييم المجموعة الرائدة عند وصف "نورتون".

-كان العمل بمثابة أطروحة دكتوراه ما أدى من جهة أخرى إلى حماية وعدم الكشف عن هوية موضوعاته. وقد دفعته هذه القيود إلى التقليل من الطبعة الإجرامية لبعض الرجال في هذه العصابات. ووضع ولكن غير عامية في أفواههم، وتعظيم تضامن هؤلاء الشباب ومحو العديد من جوانب الانحلال الاجتماعي مثل العنف.

-شكك العديد من الأكاديميين في أساليبه ودعوا إلى مراقبة أكثر موضوعية.